المسلح ، وافق المؤتمر الثاني للجبهة الشعبية (مؤتمر حمرين) الذي عقد عام ١٩٦٨ على مجموعة قرارات تنظيم العلاقات داخل الاسرة وتثبيت حقوق المرأة في المجتمع :

● لقد ثبتت الجبهة في مقررات حمرين حق المرأة في الالتحاق بصفوف جيش التحرير الشعبي والالتحاق بمعسكرات الثورة والاستفادة من التدريب العسكري والتثقيف السياسي ومحو الامية .

● فتحت أمامها أبواب مدارس الثورة ، واعطيت حق المشاركة في مؤتمرات الجبهة واجتماعاتها ، والحق في الانتخاب والترشيح

● أعطيت المرأة حق اختيار الزوج ومعارضة أية محاولة لاجبارها على الزواج بمن لا تريد ، واعطيت حق طلب الطلاق حين يكون ذلك ضروريا ، وتم تحديد المهر بما يحفظ كرامة المرأة ، ويرتفع بها عن مستوى السلعة المباعة والمشتراة .

ولم تكتفي الثورة بتثبيت هذه القرارات بل وشرعت الى جانبها مجموعة قوانين لحمايتها وترسيخها وضمان تطبيقها .

أما قابوس – المنقذ الحضاري لعمان ! – فقد وجد ان عليه أن يسرع في تجميل وجه نظامه القبيح وان يرد على الثورة بنفس اسلوبها .. فقام بفتح مدرسة للبنات !!.. ورغم محاولاته الظهور بمظهر المواكب لركب الحضارة من خلال بعض ما يكتب احيانا في الصحف من الدعوة لمساهمة المرأة في العمل ، الا ان هذه المحاولات تسقط سريعا أمام تحجر الفكر المتخلف الرجعي الذي تمثله ادوات النظام وممثلوه من الاقطاعيين والكمبرادور ورجال الدين ..

وعلى أية حال فالمدرسة التي فتحها قابوس للبنات هي وقف على بنات الطبقة الحاكمة والمتنفذين ، في حين ظلت المرأة الفقيرة في المدن والريف تخضع لاقسى وأكثر المفاهيم الرجعية تخلفا ، بينما ظلت المرأة « السوداء » تباع وتشترى في السوق !..

ربع الجيش ونصف الميليشيا

ونعود للمرأة العمانية في الريف الظفاري ، فقد ادى انطلاق الثورة المسلحة هناك وتحقيق الانتصارات العسكرية المستمرة ، وعبر عشر سنوات من الممارسات السياسية والتنظيمية الى احداث تحولات اساسية في البنية الايديولوجية للريف ، كان من نتائجها تذويب الكثير من الرواسب الفكرية المتخلفة بشكل عام وبشكل خاص ما يخص وضع المرأة .

وكان هذا التصاعد في العملية الثورية يترافق مع تصاعد موقف المرأة ووعيها ومساهمتها في الثورة ، فاندفعت تساهم في القتال والعمل السياسي وكل نشاطات الثورة .

فعلى مستوى القتال شكلت النساء في مرحلة سابقة ٢٥ بالمئة من جيش التحرير الشعبي ، وقاتلت ببسالة في الخطوط الامامية ، وسقطت العديد من الشهيدات في قتال مواجهة مع العدو مثل فاطمة غنانة ، طفول مطيع ، وخيار مسعود .. وغيرهن . وعدا مقاتلات جيش التحرير الشعبي هناك عضوات الميليشيا الشعبية اللاتي يقمن بمهمات الحراسة ومحو الامية والتمريض وهن على استعداد في أية لحظة لحماية مواقع الثورة والدفاع عنها ، وشكلت الفتيات ٤٥ بالمئة من قوات الميليشيا الشعبية .

أما على صعيد العمل السياسي في المدينة ، فرغم الارهاب والملاحقة ، استطاعت المرأة العمانية – القيام بدور هام في فضح النظام وتحريض ضده ، وهناك العديد من المعتقلات في سجون مسقط ، كما ان هناك العديد من الفتيات ممن منعن من السفر الى خارج عمان ، وهناك غيرهن منعن من دخول وطنهن .

وتسجل المرأة العمانية اندفاعا ملحوظا نحو اكتساب الخبرة العسكرية والوعي السياسي وتعلم القراءة والكتابة ، وتفوق اعداد النساء اعداد الرجال في هذه المجالات .

وكما ذكرنا فان المرأة تتحمل مسؤولية الانتاج في حالة غياب زوجها في مهمات عسكرية وقتالية ، وعندما لا تستطيع المرأة ان تلتحق بصفوف جيش التحرير الشعبي والميليشيا فهي تقوم بمهمات قد تبدو صغيرة لكنها كبيرة ضمن ظروف المعيشة القاسية التي تعيشها الجماهير العمانية . فمثلا تعتبر أية امرأة ان مهمتها الاساسية في حالة نشوب معركة هي تمويل خطوط المواجهة بالماء والزاد ، وهي تبادر الى انجاز هذه المهمة دون تكليف من أحد ، وقد يبدو الامر بسيطا وساذجا لكن الواقع ان الطبيعة القاسية للريف الظفاري تجعل منها مهمة شاقة وقاسية تفترض السير ساعات عديدة في مناطق جبلية شوكية شديدة الوعورة وغالبا ما تكون المرأة حاملا وعادة ما تكون تعاني جملة امراض اقلها سوء التغذية .

ومثال اخر ، فان كل امرأة « ربة بيت » اعتادت ان تخبيء بعض قوت العائلة « وخاصة السكر والشاي » تخبئه حتى عن زوجها واطفالها بانتظار زيارة متوقعة للمقاتلين . وهذه اللفتة المؤثرة لا يمكن فهمها دون التذكير بسياسة التجويع التي فرضها قابوس على الريف الظفاري حيث غدت ذرات السكر تعادل بالذهب .

اضافة الى ذلك فالمرأة العمانية تشارك بكثافة في توفير العناية الطبية للمواطنين والجرحى ، كما ان اعدادا متزايدة من الفتيات يلتحقن – باستمرار بمدارس الثورة . وبعد اجتيازهن المرحلة الابتدائية يقمن بدورهن في محو الامية لنساء المنطقة التي يتواجدن فيها .

منظمة المرأة العمانية

ظلت نشاطات المرأة في الثورة تنمو ضمن هذا الاطار الذي تميز بتثبيت الثورة لموقفها المبدئي السليم من قضية مشاركة المرأة في الثورة ، والتحاق النساء في مختلف اطر الجبهة بمبادرتهن واصرارهن على الاستمرار . وبكلمة اخرى لم يكن هناك اطار تنظيمي يتولى مهمة تنظيم هذه المبادرات والارتقاء بمستوى الوعي السياسي والاجتماعي للمتميزات من المناضلات من أجل خلق الكوادر المطلوبة لتحريض واستنهاض طاقات كل النساء الغارقات في الامية ومشاكل الحياة اليومية ، وكان من الضروري التفكير بخلق هذا الاطار لينهض بمهماته الدقيقة هذه . وهكذا جاءت « منظمة المرأة العمانية » التي عقدت مؤتمرها الاول اوائل ١٩٧٥ والتي هي عضو في الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي والاتحاد النسائي العربي .

وتقول الرفيقات في المنظمة ان سبب تأخر تأسيسها يعود الى نقص الكادر النسائي بالدرجة الاولى والظروف الموضوعية المتمثلة بالتخلف السائد في المجتمع عموما والذي سيكون مضاعفا في صفوف النساء .

وقد واجهت المنظمة ضمن مهماتها الاساسية واقع المرأة العمانية ، وبدأت بالعمل على انجاز المهمات المطلوبة ضمن سلم الاولوية ، فكان التوجه الى محو الامية التي كما قلنا تنتشر بنسبة ٩٩ بالمئة في الارياف .. فكيف اذن بالنسبة للنساء ؟..

وتنشط المنظمة على هذا الصعيد رغم قلة الكادرات النسائية المتعلمة والمؤهلة للقيام بهذه المهمة . لكنها استطاعت تعويض هذا النقص بالاستفادة من طالبات مدارس الثورة كما ذكرنا سابقا .

اضافة الى ذلك تعنى المنظمة بالتوعية السياسية والاجتماعية والصحية لجماهير النساء ، وتقيم من أجل ذلك الندوات والمحاضرات ، وبالطبع تساهم المنظمة مساهمة اساسية في اغاثة المتضررين والمنكوبين من جراء الحرب وقصف طيران العدو ، وتقوم برعاية وحضانة ابناء الشهداء والجرحى .

وتعمل حتى في .. الكهوف

ملاحظات حول التجربة

لتقييم دور المرأة العمانية في الثورة ولكي تأخذ مساهماتها الابعاد الحقيقية والحجم الحقيقي لا بد من تسجيل بعض الملاحظات الضرورية من أجل ذلك :

● لقد نمت تجربة المرأة العمانية في مجتمع أمي متخلف ، كانت بحاجة الى جهود ضخمة وعدد كبير من الكادرات الواعية القادرة على تحريض جماهير النساء وعلى التحرك في صفوف الجماهير من أجل بث المفاهيم الجديدة وتثبيتها في اذهانهم حول ضرورة مشاركة المرأة ، ودفع النساء الى اعطاء طاقتهن القصوى في خدمة الثورة .

● وتشابه تجربة المرأة العمانية تجربة المرأة الفيتنامية من حيث طبيعة المجتمع المتخلف وقلة الكادر والبدء من الصفر لكنها تختلف عنها في مسألة الكثافة السكانية ، ويعتبر التخلخل السكاني في الريف الظفاري أحد المقومات التي حالت دون تسارع وتيرة اندفاع النساء في مبادراتهن وبالتالي في سرعة انتشار الافكار والمبادرات في صفوفهن وفي صفوف المجتمع ككل فيما يتعلق بهذه المسألة .

● كما ان طبيعة الارض ووعورة الجبال مترافقة مع انتشار السكان لاسباب معيشية أو أمنية عملت على التقليل من أهمية الكثير من المهمات التي تقوم بها النساء بالنسبة للمراقب الخارجي مثل نقل المؤن والمياه والرصد والمراسلات التي هي كما ذكرنا في غاية الصعوبة .

● ولكن بما ان النساء العمانيات يواجهن واقعا سكانيا وجغرافيا محددا فان عليهن أن يعملن على التغلب عليه وعلى راس المهمات التي عليهن انجازها من أجل تجاوز هذا الواقع هو صب الـ
على مسألة خلق الكادر المحلي الديناميكي القـ
على التحرك في صفوف جماهير النساء في الر
ونؤكد على كلمة « المحلي » لكي لا تقف الث
العمانية في خطأ الاعتماد على الرفيقات المتقد
واهمال مسألة في غاية الاهمية وهي
المحرضين الجماهيريين من بين صفوف المواط
حيث يكونون أكثر قدرة بما لا يقاس على تحر
الجماهير والتعامل معها وفهم دقائق حياتها
أي رفيق آخر يكلف بهذه المهمة .

وخلق الكادر المحلي ليس مسألة سهلة .. يبدأ بمحو الامية ويتواصل بالتربية التنظيم
السليمة والتثقيف السياسي والدفع باست
ليكون هذا الكادر في اطار الجماهير وفي اط
همومها اليومية ومشاكلها ومطالبها .

● وعلى الجانب الاخر من هذه المهمة تب
مسألة الحفاظ على الكادر النسائي حيث أن
حركات التحرر تعاني من قضية خطيرة ، ه
صعوبة استمرار المناضلة في مهماتها النضا
والقتالية بعد زواجها وخاصة بعد انجابها .
يصبح عليها أن تتحمل مسؤولية تربية طفلها
على الاقل مدة سنتين تكون خلالها قد ابتعد
كثيرا عن جو المهمات اليومية مما يخشى
يصرفها نهائيا عن المشاركة الفعالة في الثور
لقد عانت الثورة الفيتنامية من هذه المشك
واستطاعت حلها عن طريق انشاء الحضا
لاطفال المقاتلات والمناضلات ، وقد واجهت تج
الحضانات هذه العديد من المشاكل والمعوقات ا
على رأسها التقاليد القديمة التي تستنكر أن يـ
بتربية الاطفال اناس غرباء عن تقاليد العائـ
وافكارها . وعندما نفذت النساء الفيتنامي
فكرة الحضانات هذه تعرضن ليس لمجرد الاستـ
بل ولمقاومة حقيقية مثل تخريب الدار أو نهـ
محتوياته أو مضايقة الرفيقات القائمات عليه
وبالطبع فان كل تجربة جديدة تواجه مقاوم
التقاليد القديمة ، ومهمة الثورة والثوريين
يستطيعوا بما يمتلكون من فكر وحب للجماهير
يقنعونها بتقديم المزيد من النجاحات والايجابيا
وهكذا نجحت تجربة حضانات القرى في فيتنام
ولم تكن التجربة ضخمة على الصعيد المادي ب
اقتصرت أول الامر على غرفة واحدة وقليل م
الاثاث جمع ثمنها من الرفاق والرفيقات اصحـ
الفكرة تم توسع المشروع بعد أن اثبت جدا
بمساهمة الجميع .

والمرأة العمانية تعاني من نفس المشكلة وق
اقترحنا على الرفيقات فكرة الحضانة وكان جوا
هو أن التقاليد لا تستسيغ ان تترك الام طفل
بيد الغرباء لتقوم بمهمات يراها اهلها انها
ثانوية ، ونحن نقول ان منظمة المرأة العماني
تعاني من نقص الكادر وعليها الحفاظ عل
كوادرها بكل الطرق وهذه احداها . والمرأة العما
قدمت نماذج متقدمة سواء في القتال أو النض
اليومي وهي قادرة بتاريخها المجيد هذا ان تع
للجماهير المزيد من التجارب والممارسات المتق
على طريق التحرر السياسي والاجتماعي .

هدى محاد
منظمة المرأة
العمانية – الاراضي
المحررة